

حركة التغريب في أفغانستان، بدايتها، أهدافها، وأسباب نشأتها (دراسة وصفية تحليلية) The westernization movement in Afghanistan, beginning, goals, and the reasons (Descriptive and Analytical study)

Dr. Khalil Rehman

Assistant Professor of Islamic Studies, Department of Da`wah and Islamic Culture at the
International Islamic University, Islamabad

Email: Khalil-rehman@iiu.edu.pk

Masood

PhD researcher Department of Da`wah and Islamic Culture International Islamic University,
Islamabad

Email: azizimasoud346@gmail.com

ISSN (P):2708-6577

ISSN (E):2709-6157

Abstract

There is no doubt that many Islamic countries suffer from the negatives remains left by the phenomenon of Westernization, certainly the West began to occupy Islamic countries, and swoop their bounties in the nineteenth century AD, and Westerners have realized that they will not succeed in their plans and strategies except by removing Muslims from their culture and religious values, and promoting Western values, so they legislated coordinated programs and plans to reach this dangerous goal, because they can easily implement their desired goals and objectives among the Afghan people, the Westernization movement in Afghanistan has goals and objectives pursued by the Westerners and their agents from the Afghan people, but we cannot forget that the emergence of this phenomenon has causes that researchers must search for, and carefully consider them until they are aware of the matter, the researcher will explain the goals of Westernization, the beginning of its movement, and its causes in Afghanistan.

Keywords: western, occupation, westernization, preachers.

مقدمة:

لا شك أن كثيرا من البلاد الإسلامية تعاني من السلبات التي خلفتها ظاهرة التغريب، فإن الغرب قد بدأ باحتلال البلدان الإسلامية، ونهب خيراتها في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد أدرك الغربيون أنهم لن يفوزوا في خططهم واستراتيجياتهم إلا بإبعاد المسلمين عن ثقافتهم وقيمهم الدينية، وترويج القيم الغربية والمفاهيم المختلقة المزورة في المجتمعات المسلمة، فوضعوا للوصول إلى هذا الهدف الخطير برامج منسقة، وخطط مدروسة يتسنى من خلالها تنفيذ مقاصدهم وأهدافهم المنشودة، وكل هذا في ضمن حركة التغريب، ولم يستثن من تلك الظاهرة الحبيثة أفغانستان، فقد بدأ فيها حركة التغريب واستفحل شرها، وضرب بين الشعب الأفغاني بعطن، فلحركة التغريب في أفغانستان أهداف ومقاصد يتابعها الغربيون وعملائهم من الشعب الأفغاني، لكن لا ننسى أن لظهور هذه الظاهرة أسباب ودوافع يجب على الدعاة الباحثين أن يبحثوا عنها، ويمعنوا النظر فيها حتى يكونوا على بصيرة من الأمر، ويسعوا لعلاج هذه الأسباب والدوافع، فالمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين، وقد تضمن هذا البحث الوجيز بيان أهداف التغريب، وبداية حركة التغريب، وأسبابها في أفغانستان، ويتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي لأجل تقديم هذا البحث الوجيز.

ثم هناك عدة أهداف ومقاصد يضعها الباحث في بؤرة اهتمامه أثناء البحث، ويمكن لي أن أخصها فيما يلي:

1. الوصول إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح التغريب، وجذوره في اللغة العربية.
2. معرفة أسباب نشأة التغريب في العالم الإسلامي عموماً وفي أفغانستان خصوصاً.
3. التعريب لبداية ظهور حركة التغريب في أفغانستان ومن كان وراء تلك الحركة الغريبة.

خطة البحث:

إن هذا البحث يشتمل على مقدمة في الاصطلاحات الواردة في العنوان وثلاثة مباحث، المبحث الأول في أهداف التغريب، والمبحث الثاني في حركة التغريب في أفغانستان، والمبحث الثالث في نشأة التغريب في أفغانستان.

أولاً: التغريب لغة

تطلق كلمة التغريب في اللغة العربية على ما يلي:

1. الإمعان والذهاب بعيداً، يقال: "غربت الكلاب أي أمعنت في طلب الصيد"¹.
 2. النفي من البلد، يقال: "غرب الأمير فلاناً إذا نفاه من بلد إلى بلد"².
 3. الذهاب في المغرب، يقال: "غرب القوم: ذهبوا في المغرب"³.
 4. الأخذ في ناحية المغرب، يقال: "التشريق أيضاً: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرق ومغرب"⁴.
 5. "التغريب أن يأتي بينين بيض، والتغريب أن يأتي بينين سود"⁵.
 6. التنحية وترك الشيء بعداً، قال ابن سيده: "غربه، وغرب عليه: تركه بعداً"⁶.
 7. "أن يجمع الغراب، وهو [أي: الغراب] الجليد والتلج، فيأكله"⁷.
- بعد عرض معاني التغريب عند أهل اللغة نصل إلى أنها تدور حول الذهاب بعيداً، والغربة، والإتيان بشيء غريب.

ثانياً: مفهوم التغريب اصطلاحاً

تعددت تعريفات التغريب من الناحية الاصطلاحية وتنوعت بحسب اختلاف المجالات والتخصصات، فمن الذين تصدوا لتعريف التغريب اصطلاحاً: الفقهاء والمنجمين والدعاة المعاصرين، ثم اختلف الفقهاء في تعريف التغريب اصطلاحاً، فعرفه البعض بـ:

"النفي عن البلد الذي وقعت فيه الجناية"⁸.

وعرفه الآخرون بـ:

"هو أن يجبس في غير بلده عاماً"⁹.

وعرف علماء النجوم والفلك التغريب بـ:

"أن يرى [الكواكب] في المغرب يغرب عند غروب الشمس"¹⁰.

وعرف المعاصرون من العلماء والدعاة التغريب بتعريفات متنوعة نذكر هنا طرفاً من تلك التعريفات:

"حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية وغرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين، حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم، وحتى تحف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية"¹¹.

وأيضاً التغريب هو: "حركة كاملة، لها نظمها وأهدافها ودعائمه، ولها قادتها الذين يقومون بالإشراف عليها، تستهدف احتواء الشخصية الإسلامية الفكرية، ومحو مقوماتها الذاتية، وتدمير فكرها، وتسميم ينباع الثقافة فيها، وصبغ الثقافة

الإسلامية بصبغة غربية، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، واحتواؤها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها وتنمى فيما أطلق عليه الثقافة العالمية، أو الفكر الأممي¹².

وقد لخص البعض هذا التعريف بقوله: "هو حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غربية، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، واحتوائها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها وتذوب فيما يسمى بـ "الثقافة العالمية" أو الفكر الأممي¹³".

ومن تعريفات التغريب هو: "نقل المجتمع المسلم في سلوكياته وممارساته، بأنواعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأسري والعقدي، من أصالتها الإسلامية، إلى تبني الأنماط الغربية في الحياة"¹⁴.

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن أن يعرف التغريب على هذا الغرار:

حركة تستهدف بلاد المسلمين ومجتمعاتهم لتغريبهم عن ثقافتهم الدينية، وإذابتهم في الصبغة الغربية، أو خلق الانتماء إليها، على يد الغربيين أنفسهم أو عملائهم، تخفيفاً للقيم الإسلامية في نفوس المسلمين، واستيلاء على خيرات البلاد.

ومن الجدير بالذكر أن هناك صلة قوية بين المعنى اللغوي للتغريب والمعنى الاصطلاحي، حيث إن هذه الحركة بدأت من الغرب، والذي ينتمي إلى تلك الحركة يبعد عن ثقافته الإسلامية، وقيمه الدينية، وكل هذه تؤدي إلى خلق أفكار غربية، وآراء لا عهد للمجتمع المسلم بها في العهود الخالية.

ثم إنه قد يعبر عن مصطلح التغريب بمصطلح التحديث، أو الحداثة، والتحضر والتغير الاجتماعي، وكل هذه المصطلحات تتشابه، فكان المناسب التذكير بهذا الأمر حتى لا يتشابه المصطلحات على القارئ.

ثم إن للتغريب في العالم الإسلامي أهدافاً ومقاصد يجب على الداعية أن يلم بها، ولمعرفة تلك الأهداف أهمية بارزة في حياة الداعية، حيث إن هذه المعرفة تمهد الطريق أمام الداعية لمواجهة بأحسن وجه، ودرءه بأسلم أسلوب، فالخري أن يذكر هنا أهم تلك الأهداف والمقاصد وإن كان حصر جميعها ثم شرحها وتفصيل شعبها لا يسع في هذه الرسالة.

المبحث الأول: أهداف التغريب

إن الله سبحانه وتعالى قد أودع في نفوس البشر حب المال والرياسة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿رَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾¹⁵، فالله سبحانه وتعالى قد زين حب الشهوات الدنيوية واللذات الجسمانية للناس، ولأجل هذا يتنافسون في سبيل جمع المال وكسب الجاه والمكانة، قال تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾¹⁶. ومن المعلوم أن الدول الغربية دول رأسمالية، تبذل جهودها لتجميع المال والخيرات بشتى الطرق، وتبر في سبيل الوصول إلى المال والمتاع استخدام جميع الوسائل، المشروعة منها وغير المشروعة، ومن تلك الوسائل غير المشروعة استثمار البلاد الإسلامية، ونهب خيراتها وثرواتها لصالح البلاد الغربية، وتحريك عجلة الاقتصاد والرقى إلى الأمام.

وبعد إمعان النظر في أهداف التغريب يتبين أن حب قيادة العالم وشهوة المال ومتاع الدنيا هما السببان الرئيسيان في التغريب والغزو الثقافي، فالتغريب مقدمة لهيمنة الغرب، وسيطرتها على البلاد الإسلامية، وعلى حكام المسلمين، وظاهرة التغريب تساعدهم في تحقيق هذا الهدف والوصول إليه، على الجانب الآخر إن البلاد الإسلامية تحتل رقعة كبيرة من الأرض، ولها أهمية بالغة في التجارة العالمية.

ولتحقيق هذين الهدفين الأساسيين وهما قيادة العالم وتكريس ثروات الأمم يسعى الغرب لتحقيق أهداف خادمة وجزئية، ويمكن تقسيمها إلى أهداف تضعف قوة المسلمين وتحطم شوكتهم، وأهداف تغرس فيهم الذل والهوان والخوار. فمن الأهداف التي تضعف قوة المسلمين وتحطم شوكتهم هي:

أولاً: الحيلولة دون عودة الخلافة الإسلامية

لا شك أن الحيلولة دون عودة الخلافة الإسلامية من أهداف التغريب في البلاد الإسلامية، حيث إن الخلافة الإسلامية تعد رمزا لقوة المسلمين، وتمثل الحزام الذي يجتمع حولها المسلمون من شتى بقاع العالم، فقيام الخلافة الإسلامية في العالم الإسلامي يقض مضاجع الأعداء، ويصدّهم عن تنفيذ مكائدهم ومخططاتهم الخبيثة، وإن وصل بها الضعف والعجز إلى أن يبقى فقط رسمها، ولم يكن لها أي سلطان فعلي على البسيطة.

هناك دوافع تقف أمام قيام الخلافة الإسلامية ووجودها في المسلمين يمكن إيجازها في ما يلي:

أولاً: قيام خلافة إسلامية على الأرض يعني وجود نظام سياسي موحد يمكن أن يوحد السلمين، ويجمع شملهم، وإن لم يكن لها في أرض الواقع أي قوة، ولم يبق منها إلا الاسم والرسم.

ثانياً: إن قيام الخلافة الإسلامية يدل على استمرار تاريخ المسلمين، ومواصلة المجد التليد، والمكانة المرموقة التي حظوا بها طوال القرون الخالية والعهد الماضي، وكل هذا يتم تحت ظل شعار سياسي موحد.

ثالثاً: إن قيام الخلافة الإسلامية يخول للمسلمين حق الاشتراك والمساهمة في الدفاع الدولي عن البلاد الإسلامية، وإقامة التعاون والتساند والمؤازرة فيما بينهم.

رابعاً: إن قيام الخلافة الإسلامية يقضي على الحدود المصطنعة، والثغور المختلفة من قبل أعداء الإسلام، والمسلمين، وهذا يعني مساهمة الناس في البلاد الإسلامية، وتمتعهم بالحریات والحقوق الإنسانية والإسلامية، وتنقلهم في تجارتهم ومعاملاتهم بسهولة ويسر¹⁷.

ثانياً: الحيلولة دون وحدة الأمة

لا شك أن وحدة الأمة واجتماع كلمتهم هي أبرز سلاح أمام الغرب ومخططاته السيئة ومؤامراته الخبيثة، فما دام المسلمون يعيشون في التفرق والتشتت وعدم التكتل والتساند يستطيع الغرب وأعداء الدين أن يطبقوا جميع برامجهم، وينفذوا جميع خططتهم، فالهدف الأعلى والمقصد الأهم لهم هو الحيلولة دون قيام وحدة المسلمين، وبذل الجهد في بلبله العقول، وانقسامهم بعشرات من التيارات والمذاهب، وتعميق الأفكار الغريبة والآراء الوافدة والفوارق الثقافية في الأمة بما يحول دون قيام دولة مسلمة عالمية وقيام الوحدة.

فالأمة المسلمة لا تستطيع أن تسترد مجدها التليد، وسوددها الوحيد إلا بعد الوصول إلى الوحدة، ونبذ الاختلاف السيء والتفرقة، فالتغني بأجداد الأجداد، والبكاء على القرى الخاوية على عروشها بلا جد واجتهاد في سبيل توحيد الأمة وتجميع شملهم، لا يخرجنا من الذل والهوان، بل تقذف بنا إلى مهاوي التيه والدمار.

ثم إن تمزيق صف الأمة الواحد، وبث سموم الخلاف والنزاع بينهم مما تشرب في نفوس الأعداء من أهل الكتاب والمشركين بدءاً من يهود المدينة ومنافقي أهل الكتاب ومروراً بمدارس الزندقة والدعوة المسموسة في الحركات الضخمة كالراوندية، والقرامطة والباطنية، وما ساندتها من القوى السياسية والمناهج التي وضعها زعماء الحركة الوطنية في رسائل إخوان الصفا، وانتهاء بالنعرات الجاهلية على قاعدة تقسيم المقسم وتجزئة المجرأ إما على أساس عرقي كما يقال في السودان: صراع بين العرب والزرقي، وفي شمال إفريقيا: بين عرب وبربر، وفي الخليج بين العرب والفرس، وفي العراق بين العرب وأكراد وتركمان، وإما على أساس الألسنة، فيقال صراع بين العرب والعجم، أو بين الفرس والبشتون.

ثم مما يمهّد الطريق لتمييز صف الأمة، وتشتيت شملهم هو إذاعة الفرقة بين الأجnas والمذاهب وإثارة النعرات القومية بين المسلمين.

ثالثاً: إذاعة الفرقة بين المذاهب وإثارة النعرات بين الأجnas

لا شك أن إثارة النعرات القومية والعنصرية داخل الأمة المسلمة عن طريق الحيل والأكاذيب، وافتعال الفتن المؤدية إلى الجاهلية البعيدة عن معاني الحضارة الإسلامية عامل أساسي لتمييز وحدة الأمة، وتشتيت شملهم، وإضعاف قوتهم. ولقد شهد الأمة المسلمة منذ البداية جهود أعداء المسلمين المكثفة للتمييز بين المسلمين على أساس العرق والعصبية، ومن ذلك أن رجلاً من اليهود مر على نفر من أصحاب النبي ﷺ من الأوس والخزرج، فلما رأى اجتماع كلمتهم، وما في نفوسهم من المحبة والمودة لأخوانهم عاظه ذلك، وكان يعرف تماماً أن قرارهم في المدينة مرهون بفساد ذات بينهم، فأمر شاباً من اليهود أن يجلس بينهم ويذكرهم يوم بعثت الأيام التي قبله، فبدء يشدهم ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار، فاشتعل نيران الحقد والخلاف بينهم، فتنازعوا وتفاخروا حتى كادوا يقتتلون، ثم تواعدوا على اللقاء في الحرة، فخرجوا إليها وانضم كل فرقة بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، ولما بلغ النبي ﷺ هذا الأمر، خرج إليهم، وبدأ يعظهم ويوصيهم، وكان مما قال لهم: «يا معشر المسلمين، الله الله، أبدوّ الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً»، وعندئذ عرف الطائفتان أنها كانت نزغة من الشيطان، ودسيصة من دسائس الأعداء، فألقوا السلاح وتعانقوا وبكوا، وانصرفوا مطيعين سامعين، وأطفأ الله النار التي أوقدها اليهود، ورد كيدهم إليهم¹⁸.

فقد كان هذا الأمر من مخططات الأعداء منذ بداية ظهور الإسلام على البسيطة ولا يزال هذا دأبهم، فالتمييز العنصري الذي يعمل في سبيل تنفيذه أعداء الإسلام من المستعمرين وغيرهم إنما هو لتفريق صف المسلمين وفساد ذات بينهم، وأما في الإسلام فإن التمييز العنصري والتمييز العرقي لا وجود له مطلقاً.

فهناك أصوات ونعرات تعلو بين حين وآخر تثير الأحقاد القديمة، والأصغان التي عفا عليها الزمن، ولم يبق لها أثر في الوجود، فأبدوا للعرب أن الترك عدوهم وأن إزالة الخلافة الإسلامية قضت على العصبية والعنصرية التي كان العثمانيون يمارسونها مستغلين في ذلك جور واستبداد بعض حكامهم¹⁹.

فلا يزال الغرب يفرقون بين المسلمين ويلقون فيهم بذور الاختلاف والتنازع عن طريق إحياء القوميات، والأنساب التي كانت لهم قبل الإسلام، ويجهدون للصد عن اجتماع كلمة المسلمين ومنع وحدتهم بكل ما في عقولهم وأذهانهم، ولا يبالون التدليس والخيانة في تغيير مسير التاريخ، وصناعة تاريخ جديد لا أثر لدليل عليها ولا برهان، ولا يفرقون بين صحيح القول والنقل من سقيمهم، بل يجمعون بين الرطب واليابس، وبين الصالح والطالح، قال تعالى: { إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }²⁰.

وهذا الأمر ليس نسيج الخيال بل أمر قد عشنا معه في أفغانستان فترة الاحتلال حيث أنشأت في مدينة واحدة مجالس كثيرة للشورى على أساس القوم والعرق، ولم يكن إنشاء تلك المجالس إلا وليد مخططات الغرب وبرنامجهم الخبيثة.

ثم إن الجدار الوحيد والحاجز الفريد الذي يقوم أمام النعرات الجاهلية، والدعوات القومية هو الإسلام والعقيدة الصحيحة، فما دام المسلم يتمسك بدينه، ويتشبث بتعاليم الإسلام فلن يستسلم لتلك الدعوات، ولن يخضع لتلك النعرات المرتفعات، بل الإسلام هو المعيار الوحيد عنده، ويزن كل المفاهيم والآراء في ميزان الإسلام، فما وافقه تمسك به، وما خالفه خلى سبيله، ولذلك يتكون إنكار الدين، وتهميش دوره في حياة المسلمين هدفاً آخر من أهداف تطبيق النموذج الغربي،

وتنفيذ خططهم في المجتمعات المسلمة، فما دام الدين هو شعار المسلمين، فلن يفوز الغرب في تنفيذ مخططاته، وتطبيق أهدافه.

المبحث الثاني: بداية حركة التغريب في أفغانستان

بعد الدراسة يتبين لكل باحث أن الشعب الأفغاني متمسكون بالتقاليد الإسلامية الأفغانية، ويمتازون من بين سائر الأمم بالصلابة الدينية، ويعضون على تقاليدهم بالنواجذ، حتى جر ذلك التمسك والتصلب في الدين بعضهم إلى المغالاة والتطرف، والحوادث التاريخية خير شاهد في هذا المجال²¹.

ثم إن الصلابة الدينية مهما قويت واستحكمت تزداد بحسبه توقير العلماء وإعزازهم، ولذلك تصل قوة العلماء ومكانتهم في أفغانستان إلى الحد الذي طفقت الحكومة تتراجع عن قرارات اتخذتها على رغم منهم، ومن أمثلته أن الحكومة الأفغانية عندما أرسلت بعثة من الفتيات إلى إسطنبول لتدرسن التمريض ثار العلماء واضطرت البعثة إلى العودة إلى كابل، وعندما أسست كلية الطب في كابل اضطرت الجامعة إلى التدريس النظري فقط ثم إرسال الطلاب إلى الهند لدراسة علم التشريح، حيث إن علماء الدين لم يوافقوا على تشريح جثث الموتى داخل الكلية²².

وكل هذه القصص تؤكد مدى تمسك الشعب الأفغاني بالدين، واحترامهم وتوقيرهم له، حيث إن القانون الإلهي أعز عندهم من أنفسهم، ويحتل الدين مكانا ساميا، ومنزلة رفيعة عندهم، وجذور الإيمان بالله وبما أنزل على الرسول تمتد في أعماق قلوبهم.

وكانت حكام الشعب الأفغاني ملتزمين بالدين والإسلام، ومنايذين ما يخالف تقاليد الشعب حتى اعتلى أمان الله خان العرش وغره السلطان، وخدعته فخامة الملك والحكم، ولأجل هذا ترك البلاد وانصرف إلى الصيد وركوب الفرس، وانبهز بتقدم أوروبا وأراد أن يتخذ من ثقافته نبراسا، ويواكب رقيها، وانخدع كما انخدع غيره من المعجبين بالغرب بالاختلاط والسفور والمتعة، وكان الأحرى أن ينهز بإقامة المصانع والشركات، وتطبيق العلم على العمل، وقد ورث الاستبداد عن جده عبد الرحمن خان، واعتقد أن الناس سيتبعونه في الزي واللباس، فكان يزدري بلباس الشعب وتقاليدهم، وكل هذه الأفعال الغريبة غرس الكراهية والنفور في نفوس الشعب.

ولم نبالغ لو ندعي أن أول من أوقد نيران التجديد والتنوير في الأسرة الحاكمة في أفغانستان هو محمود بن سردار غلام مُجَّد خان الطرزي، حيث إن السلطان عبد الرحمن خان لما غرب هذه الأسرة في عام 1880م سافر هذا الشاب إلى بغداد، ودمشق، ومصر، وإستامبول، وغيرها من البلاد وانبهز ببريق التطورات العلمية والتقنية والفنية في العالم، والتقى مع سيد جمال الدين الأفغاني، ومكث عنده سبعة أشهر، واستفاد من معارفه، وأفكاره وآراءه، فأحيا في قلبه معاني التجديد والتنوير والإصلاح الديني، وكراهية الظلم والاستبداد وعدم التوازن الاجتماعي، وبهذه المعاني، وبروح الحرية عاد محمود الطرزي مع أسرته إلى أفغانستان عام 1905م، قامت بين الأمير حبيب الله خان وبين محمود الطرزي علاقات حميمة، وصلات قوية، حتى إن محمود الطرزي زوج أمير أمان الله خان، وعناية الله خان ابني حبيب الله خان كريمته ثريا وخبريه²³.

وقد تأثر أمير حبيب الله خان بأفكار الطرزي وآراءه في التجديد واسترداد الاستقلال للشعب الأفغاني، ولذلك أجاز له نشر مجلة سراج الأخبار، وكان الطرزي يبيت روح العصرية ومواكبة العصر، والالتزام بمظاهر الرقي الفني، والعلمي، والاجتماعي والأدبي، وإثر هذه الطلبات والاقتراحات ألزم الأمير حاشيته بتوحيد الأزياء، فكان لأهل كل منصب زي خاص بهم، فكان الأمير أول من روج الأزياء الغربية في أفغانستان²⁴.

فظهر مما مر أنفا أن التغريب بدا ملامحه في عهد الأمير حبيب الله خان، ثم قوي واستحكم على يد أمان الله خان، حيث إنه تأثر بثقافة الغرب، وطفق يطبق ما انبهر به من مظاهرهم وتقاليدهم، لكن التزام الشعب الأفغاني بتعاليم دينهم وتقاليدهم الموروثة لم يفسح له المجال، فهرب من بلده، وترك الشعب مختلفين في أمره بين ناظم ومناضل، ومنظر ومعارض.

المبحث الثالث: أسباب نشأة التغريب في أفغانستان

يجب على كل من يريد معالجة أمر، أو إصلاح مسير أن يعرف أسباب نشأة هذا الأمر، وعوامل ظهور هذه الظاهرة، لأن العلاج يعتمد على الفحص الدقيق، وتتبع الجذور تتبعاً عميقاً، ولا شك أن لظاهرة التغريب في أفغانستان علل وأسباب كثيرة حصرها في هذا المطلب الموجز عسير وليس بيسير، ولكن يود الباحث أن يورد أهم تلك الأسباب والعوامل حتى يكون دليلاً لمن يريد البحث والفحص في هذا المجال، ويشق الطريق أمام الباحثين والدارسين، ويفتح آفاقاً جديدة في أذهانهم.

أولاً: الاستبداد السياسي

بعد مراجعة التاريخ يتبين أن الاستبداد السياسي والظلم الذي كان بعض الحكام يمارسونه على الشعب الأفغاني مهد لنشأة ظاهرة التغريب في أفغانستان، فمثلاً من المستبدين سياسياً عبد الرحمن خان بن أمير محمد أفضل خان بن أمير دوست محمد خان، حيث إنه اعتلى العرش عام 1880م، وحكم مملكة أفغانستان أكثر من عشرين سنة، وقد قتل وشرذ وجرح آلاف من الناس استناداً إلى تأمين الأمن والسلامة في البلد، فقد كان الأمن في عهده يشبه أمن المقبرة، والأمن الحقيقي هو أمن الأحرار لا العبيد والمماليك²⁵.

ومن كبتهم الأمير في عهده وظلم عليهم سردار غلام محمد الطرزي، حيث إنه اتهم بالتعاون مع محمد أيوب خان، فهدم عليه الجدار ثم ألقاه في السجن، ثم شرده من البلاد، فذاق محمود الطرزي طعم الاستبداد والتبعية والغربة المر، فاشتاق إلى الحرية والاستقلال والانفتاح على الآخرين، فكما مر أنفا بدء محمود الطرزي يرحل إلى بلاد مختلفة، وطفق يستقي من العلوم العصرية في جامعات متنوعة مثل: علم الحقوق، والعلوم السياسية، والفلسفة، والحكمة الإسلامية، والأدب، وتعلم لغات مختلفة مثل الأوردية، والتركية، والفرنسية، وغيرها²⁶، وكان الطرزي هو أول من أطلق شرارة التطور والتجديد والتنوير، والإصلاح الديني والأخذ من ثقافة الآخرين بعد عودته إلى أفغانستان في نفوس الأسرة الحاكمة.

فتبين أن الاستبداد الذي مارسه الأمير عبد الرحمن خان مهد الطريق لنشأة ظاهرة التغريب في أفغانستان، فكان الأمير وهو يمارس الظلم والاستبداد يضع لبنات التغريب والغزو الثقافي بيده في أفغانستان ويمهد لتغلغل الأفكار والآراء الغربية التي تخالف تقاليد الناس، وتعاليم الدين الإسلامي.

ثانياً: الأسفار والرحلات

إن الرحلات والأسفار لها دور كبير في تكوين شخصية الإنسان، وتغيير مسيره في الحياة، فكثيراً ما نرى الإتيقان والرصانة والحصافة في الذين ذاقوا مرارة الأسفار، وجربوا السهول والجبال والوديان، فالأسفار يصنع الرجال، كما أن الرجال يكون الجبال.

فالمسافر يسمع العجائب، ويجلب المكاسب، ويكسب التجارب، ويرى المسافر من بدائع الأقطار، وعجائب الأمصار، ومحاسن الآثار، وكل هذه الأمور تدعوه إلى شكر نعم الله، ويزيده حصافة وعلماً وورائة²⁷.

فهذا محمود الطرزي لما غرب السلطان عبد الرحمن خان أسرته في عام 1880م، سافر إلى بغداد، ودمشق، ومصر، وإستامبول، وغيرها من البلاد²⁸، وانبهر ببريق التطورات العلمية والتقنية والفنية في العالم، وتغير وجهة نظره إلى العالم، وتأثر

بما شاهده من التطور والتقدم في ميادين الصناعة، والعلم والفن، فالرفي والازهار والتطور مما تشخص إليه الأبصار، ويصيب الناس الوجوم برؤيته.

وأيضا لما سافر الأمير حبيب الله خان إلى الهند، فتعرف على كثير من المراكز العلمية، والوسائل التقنية الحديثة، وانشرح صدره لقبول ثقافة العصر، والتجديد السياسي والاجتماعي والديني، واستنكر وجوه المولوية والأخايد فحكم على أربعة منهم بعد عودته من السفر إلى أفغانستان بالإعدام شنقا²⁹.

وكان الأمير أمان الله خان ينجح إلى ترويج النموذج الغربي في أفغانستان من أول يوم اعتلى العرش، حيث إنه تربى في أسرة الأمير حبيب الله خان، وتزوج بثريا التي كانت متأثر بتطورات الحضارة الغربية، لكن لما سافر إلى بلاد الغرب، ورأى تقدمهم في وسائل الحياة، وتطورهم في المجالات المنوعة، انبهر بثقافتهم، وحضارتهم، وعزم بتطبيق النماذج الغربية، وإبعاد تقاليد الشعب الأفغاني، وأعرافهم القديمة، مهما كان ثمن الدفع غاليا، والحرب التي ستقام بينه وبين الشعب داميا.

ثالثا: مراكز التعليم

لا شك أن مراكز التعليم لها دور كبير في تنمية الفرد عقلا وروحا واتجاهها، فالمراكز التعليمية تلعب دورا بارزا في تغذية روح الإنسان، وتجهزه بسلاح العلم والفن واليقظة.

فللمعاهد والمدارس والأجواء والبيئة التي يتربى فيها الإنسان دور هام، وتأثير بالغ في فهم الإنسان، وإطارة فكره ووجهة نظره، وقد أدرك الغربيون والمستشرقون هذا الجانب تماما حيث بذلوا جهودا جبارة، وأنفقوا أموالا هائلة لإنشاء معاهد وجامعات تسقي الطلاب والطالبات من عين الديمقراطية والعلمانية واللا دينية، أو لتسهيل التحاقهم بتلك الجامعات والمعاهد.

وقد بدأت هذه الحركة في أفغانستان في عهد أمان الله، حيث أنشأت مدرسة أماني أو أمان من قبل دكاترة فرنسوية وجرمانية، وكان هناك أستاذة كثيرة تدرس في تلك الجامعات.

وإضافة على هذا فقد أرسل مئات من الطلاب بالمنح الدراسية من قبل الحكومة إلى الاتحاد السوفيتي، وألمانيا، وإيطاليا، وتركيا حتى يتربوا في أحضان تلك الجامعات، ويشتغلوا بالتعليم والدراسة، والسنة التي تليه التحقت عدد من الطالبات بالجامعات التركية، ولم يكن هناك قيود من قبل الحكومة والدولة أمام التعليم الحر³⁰.

ولا شك أن المنح الدراسية من وسائل التغريب والتنصير في البلاد الإسلامية وخاصة العربية، حيث إن بعض المنظمات التغريبية والتنصيرية تصطفي من الطلاب من لديهم القسط العالي من الفهم والدكاء، ثم تقوم بتسهيل مواصلة الدراسة في الجامعات الغربية، وتعينهم بالأموال والفلوس، وهذا العمل من جهة يزرع النظرة الغربية للعالم في سويداء قلوبهم، ويكرس الإدانة للغرب والدول الغربية في نفوسهم وأذهانهم من جهة أخرى.

ويزيد الطين بلة أن فرص العمل لهؤلاء الطلاب والطالبات أكثر من الذين درسوا في الجامعات الإسلامية، حيث إن الناس يعتبرونهم مثقفين ومتطورين في مجال العلوم الإنسانية والفنون الجديدة، والحكومات المعاصرة عموما والمستعمرة خصوصا تسهل المجالات لتوظيف هؤلاء الناس، وبذلك تمهد الغرب لغرس أفكاره، وتطبيق أهدافه ومقاصده وخططه في الدول الإسلامية والعربية.

ولقد حذر العلماء في هذا العصر عن خطور تلك الجامعات على عقيدة المسلم وهوية الإسلامية، منهم الشيخ أحمد أمين في مقالته: المدارس الغربية في البلاد الشرقية، وأيضا الشيخ محب الدين الخطيب في محاضرة بعنوانك المدارس التبشيرية، والشيخ على الطنطاوي رحمه الله في مجلة الرسالة، والشيخ محمد أحمد الغمراوي في كتابه: الطريقة المثلى للمحافظة على كرامة

الإسلام، وأيضا الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، وغيرهم من العلماء والأعلام والجهادة³¹.

وقد قال الشيخ محمد رشيد رضا: "ولكن أكثرهم تركوا هذه الفريضة (أي: الزكاة) فجنوا على دينهم وملتهم وأمتهم فصاروا أسوأ من جميع الأمم حالا في مصالحهم المالية والسياسية، حتى فقدوا ملكهم وعزهم وشرفهم النصرانية، وصاروا عالة على أهل الملل الأخرى حتى في تربية أبنائهم وبناتهم، فهم يلقونهم في مدارس دعاة أو دعاة الإلحاد فيفسدون عليهم دينهم وديناهم، ويقطعون روابطهم المالية والجنسية، ويعدونهم ليكونوا عبيدا أذلة للأجانب عنهم"³².

فالمدراس الأجنبية تلعب دورا هاما في البلاد الإسلامية لتغريب المثقفين وأهل الثقافة والفكر من أبناء المسلمين، ولقد نفذ الغرب هذه الخطة المشوهة السامة في أفغانستان، وخرج من تلك الجامعات سواء أسسها الغرب في أفغانستان نفسها أو سهل الالتحاق بها بالمنح الدراسية والخدمات المجانية في البلاد الأخرى كثير من الذين يميلون إلى الغرب والثقافة الغربية ويفضلونها على الثقافة الإسلامية.

نتائج البحث:

1. من أهم النتائج التي وصل إليها الباحث من خلال هذا البحث المختصر، هي: التغريب لغة يدور حول الذهاب بعيدا، والغربة، والإتيان بشيء غريب.
2. بعد تلخيص المفاهيم الاصطلاحية للتغريب وصل الباحث إلى أن التغريب هو: حركة تستهدف بلاد المسلمين ومجتمعاتهم لتغريبهم عن ثقافتهم الدينية، وإذابتهم في الصبغة الغربية، أو خلق الانتماء إليها، على يد الغربيين أنفسهم أو عملائهم، تخفيفا للقيم الإسلامية في نفوس المسلمين، واستيلاء على خيرات البلاد.
3. من أهداف التغريب الهامة هي: الحيلولة دون عودة الخلافة الإسلامية، والحيلولة دون وحدة الأمة، وإذاعة الفرقة بين المذاهب وإثارة النزعات بين الأجناس، وغيرها.
4. التغريب بدا ملامحه في عهد الأمير حبيب الله خان، ثم قوي واستحكم على يد أمان الله خان؛ حيث إنه تأثر بثقافة الغرب، وطفق يطبق ما انبهر به من مظاهرهم وتقاليدهم.
5. من أسباب ظهور التغريب في أفغانستان هي: الاستبداد السياسي، والأسفار والرحلات، ومراكز التعليم وغيرها.



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

المصادر والمراجع (References)

- ¹ - الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى، 1407هـ، باب الغين والراء والباء، (4/411).
- Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed, The Book of Al-Ain, Al-Hilal House and Library - Beirut, Edition: First, 1407 AH, Bab Al-Ghain, Al-Raa' and Al-Ba', (4/411).
- ² - الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، أبواب الغين والراء، (8/119).
- Al-Azhari, Muhammad bin Ahmed, Tahzibu-lugha, Investigation: Muhammad Awad Mereb, Publisher: House of Revival of Arab Heritage - Beirut, Edition: First, 2001 AD, Doors of Ghain and Ra'a, (8/119).
- ³ - ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ، الغين والراء والباء، (5/506).

- Ibn Sayyidah, Ali bin Ismail, Al-makam wa-lmohtu-laazm, achieved by: Abdul Hamid Hindawi, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, Edition: First, 1421 AH, Al-Ghain, Al-Raa' and Al-Ba' (5/506).

⁴ - الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، 1407هـ، باب حرف الشين، مادة ش ر ق، (1501/4).

- Al-Gawhari, Ismail bin Hammad, Al-Sahih Taj Al-Lughah wa Sahih Al-Arabiya, investigation: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Publisher: Dar Al-Ilm for Millions - Beirut, Edition: First, 1407 AH, chapter of the letter Al-Shin, article Sharq, (4/1501).

⁵ - الأزهري، تهذيب اللغة، أبواب الغين والراء، (119/8).

Al-Azhari, Tahzibu-lugha, chapter of Ghain and Ra'a, (8/119).

⁶ - ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، الغين والراء والباء، (506/5).

Ibn Sayyidah, Al-makam wa-lmohtu-laazm, Al-Ghain, Al-Raa' and Al-Ba', (5/6).

⁷ - الأزهري، تهذيب اللغة، أبواب الغين والراء، (119/8).

Al-Azhari, Tahzibu-lugha, The Doors of Ghain and Ra'a, (8/119).

⁸ - العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية: 1408 هـ، باب إذا اصطلحوا على صلح، (272/13).

Al-Aini, Mahmoud bin Ahmed, Umdat Al-Qari, House of Revival of Arab Heritage, second edition: 1408 AH, chapter: If they reconcile with peace, (13/272).

⁹ - القرطبي، محمد بن أحمد، المقدمات الممهدة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1408 هـ، كتاب الرجم، (252/3).

Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmed, Al-mughadamatul-momahadat, Al-Gharb Al-Islami, first edition: 1408 AH, the book of stoning, (3/252).

¹⁰ - الخوارزمي، محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية: 1410 هـ، الفصل الثالث في مبادئ الأحكام، (251/1).

Al-Khwarizmi, Muhammad bin Ahmed, Mafatihul-alum, Dar Al-Kitab Al-Arabi, second edition: 1410 AH, Chapter Three on the Principles of Rulings, (1/251).

¹¹ - أنو الجندي، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، تصدرها: الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، الفصل الأول: أهداف التغريب، 13.

Anu al-Jundi, The Objectives of Westernization in the Islamic World, foreword by: The General Secretariat of the Supreme Committee for Islamic Call in Al-Azhar, Chapter One: Objectives of Westernization, 13.

¹² - البداح، عبد العزيز بن أحمد، حركة التغريب في السعودية، تغريب المرأة أنموذجا، الطبعة الأولى: 2010م، (ص: 8).

Al-Badah, Abdul Aziz bin Ahmed, The Westernization Movement in Saudi Arabia, Westernization of Women as a Model, First Edition: 2010 AD, (p. 8).

¹³ - العمري، نادية شريف، أضواء على الثقافة الإسلامية، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة: 1422 هـ، (ص: 226).

Al-Omari, Nadia Sharif, Lights on Islamic Culture, Publisher: Al-Resala Foundation, ninth edition: 1422 AH, (p. 226).

¹⁴ - النملة، علي بن إبراهيم، التنصير مفهومه وأهدافه وسبل مواجهته، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1419 هـ، (ص: 48).

The Ant, Ali bin Ibrahim, Christianization: Its Concept, Objectives and Ways to Confront it, Publisher: Al-Risala Foundation, second edition: 1419 AH, (p. 48).

¹⁵ - سورة آل عمران، الآية: 14.

¹⁶ - سورة الفجر، الآية: 20.

¹⁷ - انظر: الميداني، عبد الرحمن بن حسن، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، الناشر: دار القلم، الطبعة الثامنة: 1420 هـ، (322/1).

See: Al-Midani, Abd al-Rahman bin Hassan, The Three Wings of Deception, Publisher: Dar Al-Qalam, Eighth Edition: 1420 AH, (1/322).

¹⁸ - انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الناشر: دار هجر، الطبعة الأولى: 1422 هـ، (627/5).

See: al-Tabari, Muhammad ibn Jarir, Jami al-Bayan on the interpretation of verses of the Qur'an, publisher: Dar Hajar, first edition: 1422 AH, (5/627).

¹⁹ - انظر: أحمد السيد، رسالة إلى المدرسين والمدركات، الناشر: دار الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1410 هـ، (17/1).

See: Ahmed Al-Sayed, A Letter to Teachers, Publisher: Dar Al-Jami'ah Al-Islamiyya Al-Madinah Al-Munawwarah, First Edition: 1410 AH, (1/17).

- Surah An-Nahl: 105. ²⁰ - سورة النحل: 105.
- ²¹ - انظر: الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، من نهر كابل إلى نهر اليرموك، الناشر: دار الهلال، الطبعة الأولى: 1974م، ص: 26.
- See: Al-Nadawi, Abu Al-Hasan Ali Al-Hasani, From the Kabul River to the Yarmouk River, publisher: Dar Al-Hilal, first edition: 1974 AD, p. 26.
- ²² - انظر: زيد الله عماد الدين، السياسة الخارجية المصرية تجاه أفغانستان، الناشر: المنهل للطباعة، الطبعة الأولى: 2010، ص: 146.
- See: Zaid Allah Imad Al-Din, Egyptian foreign policy towards Afghanistan, publisher: Al-Manhal for printing, first edition: 2010, p. 146.
- ²³ - سيستاني، محمد أعظم، علامة محمود طرزي شاه أمان الله و روحانيت منتفد، د افغانستان د كلتوري ودي تولنه جرمني، 1383 هـ ش، ص: 19.
- See: Sistani, Muhammad Azam, Allama Mahmoud Tarzi Shah Amanullah and Rouhaniyat Influential, Publisher: De. Afghanistan da Kultury and veDe Tolna Jarmani, first edition: 1383 AH, p. 19.
- ²⁴ - انظر: عطائي، محمد إبراهيم، نگاهی مختصر به تاريخ معاصر أفغانستان، مترجم: حميل الرحمان كامگار، الناشر: انتشارات ميوند، الطبعة الأولى: 1426 هـ، ص: 211.
- See: Attay, Muhammad Ibrahim, Najahi, a Brief view to the Contemporary History of Afghanistan, translated by: Hamil Rahman Kamgar, Publisher: Mundish's publications, first edition: 1426 AH, p. 211.
- ²⁵ - انظر: عطائي، محمد إبراهيم، نگاهی مختصر به تاريخ معاصر أفغانستان، ص: 181.
- See: Attay, Muhammad Ibrahim, Najahi, A Brief view to the Contemporary History of Afghanistan, p. 181.
- ²⁶ - انظر: سيستاني، محمد أعظم، علامة محمود طرزي شاه أمان الله و روحانيت منتفد، ص: 17.
- See: Sistani, Muhammad Azam, Allama Mahmoud Tarzi, Shah Amanullah and Rohaniyat Muntafez, p. 17.
- ²⁷ - انظر: التعالبي، عبد الملك بن محمد، التمثيل والمحاضرة، الناشر: دار العربية، الطبعة الثانية: 1401 هـ، مدح السفر والغربة، (399/1).
- See: Al-Thalabi, Abdul Malik bin Muhammad, representation and lecture, publisher: Dar Al-Arabiya, second edition: 1401 AH, praise of travel and exile, (1/399).
- ²⁸ - انظر: سيستاني، محمد أعظم، علامة محمود طرزي شاه أمان الله و روحانيت منتفد، ص: 19.
- See: Sistani, Muhammad Azam, Allama Mahmoud Tarzi, Shah Amanullah and Rohaniyat Muntafez, p. 19.
- ²⁹ - انظر: عطائي، محمد إبراهيم، نگاهی مختصر به تاريخ معاصر أفغانستان، ص: 208.
- See: Attay, Muhammad Ibrahim, Najahi, A Brief view to the Contemporary History of Afghanistan, p. 208.
- ³⁰ - مير غلام محمد غبار، افغانستان در مسير تاريخ، الناشر: د افغانستان د كلتوري ودي تولنه جرمني، 1383 هـ ش، ص: 792.
- Mir Ghulam Muhammad Ghubar, Afghanistan, March of History, Publisher: De. Afghanistan da Kultury and veDe Tolna Jarmani, 1383 AH, p. 792.
- ³¹ - انظر: المدارس العالمية الأجنبية - الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى: 2006م، ص: 49.
- See: The foreign-colonial global school, its history and dangers, by Sheikh Bakr bin Abdullah Abu Zaid, publisher: Dar Ibn Hazm, first edition: 2006 AD, p.: 49.
- ³² - القلموني، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، (10/443).
- Al-Qalamoni, Muhammad Rashid bin Ali, Interpretation of the Noble Qur'an (Interpretation of Al-Manar), Publisher: The Egyptian General Book Organization, 1990 AD, (10/443).